

شروط الخلاص بدم المسيح

أريد من جهة هذه الشروط أن أضع أمامكم أربعة أمور جوهرية جدًا وهي:

1- الإيمان 2- المعمودية

3- الأسرار الكنسية اللازمة للخلاص

4- الأعمال الصالحة

الإيمان

1- شروط الإيمان:

الإيمان شرط أساسي لاستحقاق دم المسيح. وهكذا قال السيد المسيح عن نفسه: "لَكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الْأَبَدِيَّةُ" (يو: 3: 16).

وتظهر أهمية هذا الشرط لاستحقاق دم المسيح، من قول الكتاب في نفس الأصحاح من فم السيد المسيح نفسه: "الَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لَا يَدَانُ، وَالَّذِي لَا يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لِأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنِ بِاسْمِ ابْنِ اللَّهِ الْوَحِيدِ" (يو: 3: 18).

ويظهر هذا الشرط أيضًا من قول يوحنا الرسول في خاتمة إنجيله: "وَأَمَّا هَذِهِ فَقَدْ كُتِبَتْ لِتُؤْمِنُوا أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ، وَلَكِنْ تَكُونُ لَكُمْ إِذَا آمَنْتُمْ حَيَاةً بِاسْمِهِ" (يو: 20: 31). هناك شرط إذن وهو أن الخلاص يكون لكم إذا آمنتم.

وبهذا وعظ بولس الرسول في إنطاكيا قائلاً: "أَنَّهُ بِهَذَا يُبَادَى لَكُمْ يَغْفِرَانِ الْخَطَايَا. وَبِهَذَا يَتَبَرَّرُ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ" (أع: 13: 38، 39).

وقد وضح ربنا يسوع المسيح أنه بدون شرط الإيمان هذا لا يمكن أن يكون خلاص بقوله لليهود: "إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا أَنِّي أَنَا هُوَ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ" (يو: 8: 24).

ما أخطر هذه العبادة "تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ"! دم المسيح موجود، قادر أن يخلص. لكنه لا يمكن أن يخلصك بدونك.

يجب أن تقدم شرط الإيمان، لكي تخلص بدم المسيح. إنه الشرط الأول، ولكنه ليس الشرط الوحيد. أنه الخطوة التي تؤهلك للمعمودية.

شرط الإيمان هذا ورد في قول بولس وسيلا لحافظ السجن "أَمِنْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ فَتَخْلُصَ أَنْتَ وَأَهْلُ بَيْتِكَ" (أع: 16: 31).

2- ما هو الإيمان؟ ...

إن كلمة الإيمان كلمة واسعة جدًا جدًا. تدخل فيها أمور كثيرة. وأن كان بولس الرسول قد قال إننا "قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالْإِيمَانِ" (رو: 5: 11)، فماذا يقصد بهذا الإيمان فماذا يقصد بهذا الإيمان الذي قد تبررنا به؟

لذلك يضع بولس الرسول أمامنا سؤالاً خطيراً جدًا في موضوع الإيمان. إذ يقول: "جَرِّبُوا أَنْفُسَكُمْ، هَلْ أَنْتُمْ فِي الْإِيمَانِ؟ امْتَحِنُوا أَنْفُسَكُمْ" (2كو: 13: 5) إذن لابد أن نختبر أنفسنا ونرى هل نحن حقًا في الإيمان أم لا. ما هو هذا الإيمان؟ ...

إيمان حي...

إن الإيمان اللازم للخلاص لابد أن يكون إيمانًا حيًا. وهذا الأمر وضح على أكمل وجه معلمنا يعقوب الرسول إذ قال: "أَنَّ الْإِيمَانَ يَدُونِ أَعْمَالُ مَيِّتٍ" (يع: 2: 20). وكرر هذا المعنى قائلاً: "لِأَنَّهُ كَمَا أَنَّ الْجَسَدَ يَدُونُ رُوحٌ مَيِّتٌ، هَكَذَا الْإِيمَانُ أَيْضًا يَدُونُ أَعْمَالُ مَيِّتٍ" (يع: 2: 26).

ومثل هذا الإيمان الميت، أي الخالي من الأعمال، لا يقدر أن يخلص أحدًا. وهكذا يقول معلمنا يعقوب الرسول: "مَا الْمَنْفَعَةُ يَا إِخْوَتِي إِنْ قَالَ أَحَدٌ إِنَّ لَهُ إِيمَانًا وَلَكِنْ لَيْسَ لَهُ أَعْمَالٌ، هَلْ يَقْدِرُ الْإِيمَانُ أَنْ يُخَلِّصَهُ؟!" (يع: 2: 14).

حقًا إن الرسول قد قال إننا قد تبررنا بالإيمان. ولكن هذا الإيمان له صفتان هامتان. إيمان حي وإيمان عامل. وفي هاتين الصفتين كليهما نرى الأعمال الصالحة.

ولا نطن أن أحدًا من البروتستانت- مهما أنكر الأعمال- يستطيع في أمر الخلاص أن يعلم بالإيمان غير العامل. فالرسول يقول: إن "الشَّيَاطِينَ يُؤْمِنُونَ وَيَفْشَعُونَ" (يع:2: 19).

فهل تقصد بالإيمان أيها الأخ إيمانًا من نوع إيمان الشياطين الذين ليست لهم أعمال. فالرسول يقول: "أن الشياطين يؤمنون ويقشعرون" (يع: 2: 19).

فهل تقصد بالإيمان أيها أخ إيمانًا من نوع إيمان الشياطين الذين ليست لهم أعمال صالحة، وإنما هم يؤمنون، ويقشعرون من هول شرورهم وفسادهم؟!.

إن عبارة الإيمان الحي العامل قد تتسع في مداها حتى تشمل الحياة الروحية كلها. كيف يمكن أن تشمل الحياة الروحية كلها؟ أميلوا أذانكم أيها الأخوة الأحباء إلى قول الرسول.

الإيمان العامل بالمحبة...

قال بولس الرسول: "لأنَّه فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ لَا الْخِثَانُ يَنْفَعُ شَيْئًا وَلَا الْعُرْلَةُ، بَلِ الْإِيمَانُ الْعَامِلُ بِالْمَحَبَّةِ" (غل: 5: 6) فماذا تعني صفة "الْعَامِلُ بِالْمَحَبَّةِ" ما هي هذه المحبة، وكيف تكون؟ ...

إن هذه المحبة شرحها بولس الرسول مستدلًا عليها بجمهرة من الأعمال الصالحة، إذ قال: "الْمَحَبَّةُ تَتَأْتَى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لَا تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ لَا تَتَفَاخَرُ، وَلَا تَتَنَفَّخُ، وَلَا تُفَخِّخُ، وَلَا تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا، وَلَا تَحْتَدُّ، وَلَا تَطْنُ السُّوءَ، وَلَا تَفْرَحُ بِالْإِنِّمِ بَلْ تَفْرَحُ بِالْحَقِّ، وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ" (1كو13: 4-7).

فإذا كان الإيمان هو هذا الإيمان العامل بالمحبة، فإنه سيشمل ولا شك هذه الصفات كلها، وكلها أعمال. هنا تبدو المسيحية في جوهرها، أنها ليست مجرد آية، وإنما هي روح وحياة (يو: 6: 63). حقًا كما قال الكتاب إن الحَرْفَ يَقْتُلُ وَلَكِنَّ الرُّوحَ يُحْيِي" (2كو3: 6) ... الحرف يقول لك أن هناك شيئًا اسمه الإيمان، وأما الروح فيشرح لك كنه الإيمان وأنه يشمل الأعمال الصالحة كلها.

فهل إخوتنا المعارضون يقصدون الإيمان بهذا المعنى الواسع الذي يشمل الحياة الروحية كلها، وهل يقصدون الإيمان بالمعنى الكبير الذي أشار إليه بولس الرسول الأصحاح الحادي عشر من الرسالة إلى العبرانيين عند حديثه عن رجال الإيمان؟ أم هم يقصدون مجرد الإيمان خلوصًا من صفاته السابق ذكرها؟!

إن كان الأمر هكذا فلنتناقش، لكي ما نرى هل يقدر هذا الإيمان أن يخلصهم حسبما تعجب يعقوب الرسول.

3- الإيمان والمحبة.

إن الذين يقولون إن الإيمان وحده هو الذي يبرر الإنسان، ويوقفون الإيمان كعنصر قائم بذاته، بعيدًا عن الأعمال، هؤلاء لا أوقفهم أنا، بل يوقفهم بولس الرسول أمام آية جبارة هي قوله: "إِنْ كَانَ لِي كُلُّ الْإِيمَانِ حَتَّى أَنْقِلَ الْجِبَالَ، وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلَسْتُ شَيْئًا" (1كو13: 2).. فهل تريدون إيمانًا أكثر من هذا؟ ...

وأنت أيها الأخ، مهما ارتفعت في الإيمان، ما هي أقصى درجة ستصل إليها؟ **هل ستصل إلى كل الإيمان الذي ينقل الجبال؟ صدقني، حتى لو وصلت إلى هذه الدرجة أيضًا، وليست لك محبة، فلست شيئًا!** لا يستطيع هذا الإيمان أن يخلصك أنت! إن كان بولس الرسول بكل إيمانه، ليس شيئًا بدون المحبة، فكم بالأولى أنت.

لهذا فإن الرسول وضع المحبة في **درجة أعظم من الإيمان.** إذ قال: "أَمَّا الْآنَ فَيَثْبُتُ: الْإِيمَانُ وَالرَّجَاءُ وَالْمَحَبَّةُ، هَذِهِ الثَّلَاثَةُ وَلَكِنَّ أَعْظَمَهُنَّ الْمَحَبَّةُ" (1كو13: 13).

4- المؤمنون، والمختارون:

قلنا إن الإيمان ينبغي أن يكون إيمانًا حيًا وإيمانًا عاملاً بالمحبة ولكن البعض يبالغ أحيانًا في تعريف كلمة المؤمنين، حتى ترادف كلمة "المختارين".

وهكذا ينادي أمثال هؤلاء بأن المؤمن لا يمكن أن يهلك، وإذا سمعوا أو قرأوا عن مؤمن قد هلك يقولون أن هذا لم يكن مؤمنًا حسب مفهومهم الخاص!! لا شك أن المختارين لا يمكن أن يهلكوا. ولكن من قال إن المؤمنين هم المختارين؟

إن الكتاب المقدس أعطانا معاني كثيرة لكلمة الإيمان: فذكر مرة: **الشَّيَاطِينَ يُؤْمِنُونَ وَيَفْشَعُونَ** (يع: 2: 19). وقال بولس الرسول في تعريفه للإيمان أنه "هُوَ الثِّقَّةُ بِمَا يُرْجَى وَالْإِيقَانُ بِأُمُورٍ لَا تُرَى" (عب: 11: 1).

وقد شرح لنا الكتاب أن هناك نوعًا من الإيمان الميت. ومع أنه ميت إلا أن الرسول سماه إيمانًا. كما أعطانا مثلًا عن الإيمان الخالي من الأعمال الذي لا يقدر أن يخلص أحدًا (يع: 2: 20، 14). ومع أنه لا يقدر أن يخلص أحدًا، إلا أن الرسول سماه إيمانًا.

وقد ذكر الكتاب أن الجميع زاعوا وفسدوا وأعوزهم مجد الله (رو3: 12) فهل الجميع لم يكونوا مؤمنين، وقد خلت الأرض من الإيمان؟! أم أن الله أطلق لقب الإيمان حتى على الذين يخطئون وهم مؤمنون.

إن أمثال هؤلاء الخطاة لم يحرمهم الرب من لقب المؤمنين. فقد قال الرب على لسان إرميا النبي "شَعْبِي عَمِلَ شَرًّا: تَرَكُونِي أَنَا يَتَّبِعُ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ، لِيَنْقَرُوا أَنْفُسَهُمْ أَبَارًا، أَبَارًا مُشَقَّقَةً لَا تَضْبُطُ مَاءً. شَعْبِي قَدْ نَسِيَني أَبَامًا يَلَا عَدَدٍ" (إر2: 13، 22) ومع كل هذا سماهم شعبه. كما قال على لسان إشعياء النبي: "رَبِّيتُ بَنِينَ وَنَشَأْتُهُمْ، أَمَّا هُمْ فَعَصَوْا عَلَيَّ" (إش1: 2). فعلى الرغم من عصيانهم سماهم بنين. ويذكرنا هذا بما قاله عن الابن الضال "ابْنِي هَذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالًّا فَوُجِدَ" (لو15: 24). **فعلى الرغم من ضلاله وموته الروحي سماه أبًا.**

وفي قول الرسول "وَإِنْ كَانَ لِي كُلُّ الْإِيمَانِ حَتَّى أَنْقُلَ الْجِبَالَ، وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلَسْتُ شَيْئًا" (1كو13: 2)، دليل آخر على إطلاق حالة الإيمان على الإنسان الخالي من المحبة الذي هو ليس شيئًا.

بل أن الرب أطلق لقب المؤمنين على الذين يشبهون البذار التي سقطت على الصخر ولما نبتت جفت. فقال: "وَالَّذِينَ عَلَى الصَّخْرِ هُمْ الَّذِينَ مَتَى سَمِعُوا يَقْبَلُونَ الْكَلِمَةَ يَفْرَحُ، وَهَؤُلَاءِ لَيْسَ لَهُمْ أَصْلٌ، فَيُؤْمِنُونَ إِلَى حِينٍ، وَفِي وَفْتِ التَّجَرِبَةِ يَرْتَدُّونَ" (لو8: 6، 13).

وطبعًا هؤلاء المرتدون لا يمكن أن نسميهم مختارين مع أن السيد المسيح له المجد لقبهم بأنهم كانوا مؤمنين إلى حين. ويشبه هؤلاء طبعًا الذين قال عنهم الرسول: "وَلَكِنَّ الرُّوحَ يَقُولُ صَرِيحًا: إِنَّهُ فِي الْأَزْمِنَةِ الْآخِرَةِ يَرْتَدُّ قَوْمٌ عَنِ الْإِيمَانِ، تَابِعِينَ أَرْوَاحًا مُضِلَّةً وَتَعَالِيمَ شَيْاطِينٍ" (1تي4: 1). وطبعًا هؤلاء لا يمكن أن نسميهم مختارين مع أنهم عاشوا في الإيمان قبل أن يرتدوا.

لعله قد وضح الآن كثيرًا بأن هناك فرقًا كبيرًا بين الكلمتين. **أن كل المختارين مؤمنون ولكن ليس كل المؤمنين مختارين، إذ قد يرتد بعضهم عن الإيمان تابعين أرواحًا مضلة وتعاليم شياطين.**

على أن هذا النقطة أيها الأحباء لنا رجعة إليها بعد حين نتركها الآن قليلًا لكي نتحدث عن الشرط الثاني للخلاص والمدخل الأساسي له وهو المعمودية.